

الخطبة الحادية والعشرون فروض الأعيان وفروض الكفايات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 67 / 1-2].

1. قوله تعالى: ﴿يُنَكِّرُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ... فيه أن أحسن العمل هو ما كان موافقاً لأمره سبحانه وتعالى ومطابقاً لسنة نبيه ﷺ مع النية الخالصة والإيمان التام بالأجر والثواب والخوف من العذاب والعقاب.

2. العمل نوعان:

أ- فرض عين على كل مسلم ومسلمة كالصلاة والصيام والزكاة والحج ... هذا الفرض لا يمكن إسقاطه ولا يمكن تركه إلا بموجب ما أذن الله به كالحائض والنفساء للمرأة، والجنون والإغماء للرجل والمرأة.

ب- فرض كفاية ... أي فرض على الأمة والمجتمع المسلم بأكمله، فإن قام به بعضهم سقط عن الآخرين، ومن قام به فقد أخذ ثواب الأمة بأكملها، وإن لم يقم بهذا الفرض أحد أثمت الأمة بأكملها ... فرض العين لا يمكن أن يقوم به أحد عن أحد، كل فرد مكلف بفروضه من صلاة وصيام وحج وزكاة. أما فروض الكفايات فيقوم بها من له القدرة من الأمة، أي يقوم بها بعضهم عن الجماعة ...

ج- وهناك فروض كفايات قد تصبح فروض أعيان إذا كانت تابعة لذوي الاختصاص، عندنا مريض يكاد أن يموت، تطيبه من فروض الكفايات، أي يجب على الأمة أن تداوي مرضاها، لكننا لا نعرف ولا بدّ من طبيب، لذلك يجب على الطبيب المختص القيام بعلاج هذا المريض ويصبح هذا العلاج

بمنزلة فرض عيني على هذا الطبيب لأنه لا مؤهل غيره لهذه الوظيفة، ومثال آخر، إذا رأى مسلم منكراً ولا يوجد غيره قادر على إنكار هذا المنكر أو تغييره لأمر عدة من قوة وسطوة وحجة ومنزلة وما إلى ذلك، إنكار المنكر فرض من فروض الكفايات ولكن إن لم يوجد أحد غيرك لإنكار هذا المنكر وتغييره ولا يوجد أحد غيرك عنده العلم والقدرة، فأصبح إنكار هذا المنكر فرض عين عليك ...

3. صلاح الفرد يكون بإقامة فروضه العينية، وصلاح المجتمع يكون بإقامة فروض الكفايات، وكلما زادت العناية بفروض العين زادت سعادة وصلاح الفرد، وكلما زادت العناية بفروض الكفايات زادت سعادة المجتمع ورفاهيته وسلامته.

4. ثواب فرض العين يعود على صاحبه، وثواب فرض الكفاية يعود على فاعله ثواب الأمة بأكملها، فرض العين مقصور على صاحبه، وفرض الكفاية فإنه عن الأمة ونفعه أعم وأشمل، فعلى المسلم أن يحرص على فرضه بالدرجة الأولى وأن يحرص على فعل فرض الكفاية ما استطاع إليه سبيلاً، لأن فضله عظيم، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32 / 5]، والشاهد ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ... وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم. وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم. ويؤخذ بعين الاعتبار الأوقات والمناسبات في الفضائل بين وفروض الأعيان وفروض الكفايات، فمثلاً إرضاء الوالدين وخدمتهم وبرهم، هذا من فرض العين، قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد وهو فرض كفاية، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني جئت أبايعك على الهجرة ولقد تركت أبويَّ بيكيان، قال عليه الصلاة والسلام: «ارجع إليهم فأضحكهما

كما أبكيتها» صحيح الجامع (6444)، وعنه ﷺ قال: جاء رجل يستأذن رسول الله ﷺ في الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام: «أحبي والداك؟» قال: نعم، فقال ﷺ: «ففيهما فجاهد» رواه البخاري.

5. أنواع فروض الكفايات:

1. تعليم الأمة أمور دينها، والعلم الشرعي قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 9 / 122]، لا بد من وجود العلماء المخلصين العاملين بما أراده الله من عباده، لا بد من وجود أطباء ومهندسين لخدمة هذا الدين وهذا المجتمع، لا بد من القيام بما تصلح به الأمة وتكون قوية متماسكة غنيّة، لا بد من وجود متخصصين لكل مصلحة من مصالح الأمة ولكل منفعة ...

2. التعاون على البر والتقوى وما فيه مصلحة للأمة أيًا كانت ... قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: 2 / 5].

تعاونوا على البر والتقوى، ﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ فعل أمر يقتضي الوجوب كل حسب اختصاصه، تعاونوا على البر، والبر هو جماع الخير؛ أي إن كل خير ممكن أن تتخيله فهو من البر، والتقوى هي أن تقوم بهذا التعاون على هدي من الله وعلى إخلاص لله وعلى خوف من الله وعلى علم بأنك مراقب من الله تعالى على ظاهرك وباطنك، ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ نهي واجب من الله تعالى على أن لا تتعاون ولا تعين ولا تنشر ولا تفعل الإثم، والإثم هو جماع الشر؛ أي إن كل شر هو إثم، ولا تكن نصيراً ومعيناً للعدوان، والعدوان من الاعتداء والتعرض للأموال والحقوق والأعراض والأمانات أيًا كانت وفي أي مجال كانت، فلا تنشر الإشاعات ولا الأكاذيب ولا الفتن ولا الضلالات ولا الشبهات ولا الغيبة والنميمة ولا التفريق بين الإخوان ولا بث الضغائن والأحقاد ولا الغش ولا الحسد ولا التجسس ولا التفاخر ولا

الفواحيش ...

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَنْتَجِمْتُمْ فَلَا تَنْجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجُوا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: 58 / 9].

3. خدمة المسلمين.

- * حل مشكلاتهم.
- * النصح لهم.
- * تقديم المساعدة.
- * إدخال السرور على قلوبهم.
- * عدم الاستهزاء بهم.

* عدم التكبر، قال عليه الصلاة والسلام: «المسلمون تتكافأ دماءهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم يد على من سواهم، يردُّ مشدُّهم على مُضعفهم، ومُتسرِّعُهُم على قاعدتهم» د - ن - ه - صح، وقال ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فكيف أنصره ظالماً، قال ﷺ «تحجزه وتمنعه من الظلم فذلك نصره» رواه البخاري.

4. التشاور والتناصح مع المسلمين ... عن جرير ﷺ قال: قال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه البخاري ومسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن مرآة المؤمن» صحيح الجامع (6655)، وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه البخاري ومسلم.

5. ستر عورات المسلمين ... عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «من نكس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نكس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» م - حم - د - ت - ن، وعنه أيضاً عن النبي ﷺ «لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة» مسلم، ومعنى ستره الله يوم القيامة؛ أي ستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها يوم المحشر، ورواية الطبراني قوله عليه الصلاة والسلام: «من علم من أخيه سيئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة» الطبراني.

6. الدعوة إلى الله وإلى دين الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [فصلت: 41 / 33]، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: 3 / 104]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 16 / 125].

وقد تكون الدعوة إلى الله فرض عين عليك إذا لم يكن هناك أحد يقوم بهذه الدعوة، أو لم يكن هناك أحد عنده العلم الشرعي الكافي أو الأسلوب الحسن أو الحكمة في الدعوة، وكما ذكرت قوله عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» مسلم، وقال ﷺ لعلي ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُرِ النعم» البخاري ومسلم.

7. تحقيق وإنجاز قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 49 / 10]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» رواه مسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله» حم - صححه أحمد شاكر. من هذا التشريع، نقيم صلاة الجنازة، ونساعد المحتاجين، ونزور المرضى، ونزور المشافي، ندفع الصدقات، نواسي المحرومين، ندخل السرور على قلوب المسلمين، نسأل عن حالهم، نقيم المشاريع لتشغيل العاطلين عن العمل، نساعد الشباب على دورات تعليمية ومهنية، نحمي مساجدنا ومؤسساتنا وبيوتنا، نأتي الجمعة والجماعات لتثبيت ودعم أواصر المحبة والصدقة والتعاون، ندعو للأموال وندعو للأحياء، ندعو وندعم المنكوبين، نعمل على ستر الخلل في مجتمعنا، نحرص على الفضيلة، نحارب الغش والخداع والكذب والمكر، نفرح لفرح المسلمين ونشارك فيها ونحزن لحزن المصابين ونواسيهم وندعو لهم، نرشد من ضلّ، ونستر من أذنب، ونحفظ أعراض بعضنا بعضاً وأموال بعضنا بعضاً وسمعة بعضنا بعضاً، نزوج الشباب والشابات، نصلح بين الأبناء والأباء، فعن أبي الدرداء ﷺ، أن النبي ﷺ

قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى، قال ﷺ إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» د - ت - ابن حبان - صححه الألباني رحمه الله تعالى.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ «على كل مسلم صدقة، قلت أرأيت إن لم يجد؟ قال ﷺ: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قلت: أرأيت إن لم يستطع؟ قال ﷺ: يعين ذا الحاجة الملهوف، قلت: أرأيت إن لم يفعل؟ قال ﷺ: يممسك عن الشرفاؤها صدقة» رواه البخاري ومسلم.

8. إياك يا عبد الله أن تكون من النادمين ...

1. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: 23 / 99 - 100].

2. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۗ وَفِضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يونس: 10 / 54].

3. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرْيُنِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزخرف: 43 / 36 - 38].

4. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِكَايِدِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: 6 / 27].

5. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ مِنْ كَثِيرٍ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَابِ لَعَنَّا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 33 / 66 - 68].

6. وقال تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء: 4 / 73].

7. وقال تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: 18 / 42].

8. وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبِلًا ﴿الفرقان: ٢٥ / 27﴾.

9. وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ۗ ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۗ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ۗ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: 89 / 23 - 26].

10. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابَهُ ۗ ﴿٢٥﴾ وَلِمَ أُذِرْ مَا حِسَابِي ۗ ﴿٢٦﴾ يَلِيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۗ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۗ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۗ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: 25 - 29 / 29].

يا عبد الله ...

1. اعف عن الناس ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 42 / 40].
2. صم لله، قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» رواه مسلم.
3. اصبر على الناس وعلى الطاعة وعن المعصية ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 39 / 10].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

